

القنوات

علامة ثقافية لباكستان الزراعية

< تحقيق: زبير طاهر
تصوير: فراز أحمد

إن باكستان هي أساساً بلد زراعي وأرض ذات تنوع استثنائي بيئياً، وبيولوجياً وثقافياً. فهناك خط مكران الساحلي مع شواطئه الجميلة، وصحاري ثار وكلمستان حيث توجد حيوانات ونباتات نادرة، وكذلك الأراضي الخصبة في السند وسهول البنجاب والمناطق الشمالية التي تضم أعلى ثاني قمة في العالم في جبال الهمالايا هي ك-2. وهناك أيضاً بعض أكبر الأنهار الجليدية خارج المنطقة القطبية.

م نسوب الأمطار يتراوح من أقل من 100 ملم في جنوب السند إلى أكثر من 700 ملم في المناطق الشمالية، ودرجات الحرارة تتفاوت من 50 درجة مئوية في بعض أنحاء السند وبلوشستان إلى ناقص 30 درجة مئوية في بعض المناطق الشمالية. المقاطعات الأربع في باكستان، وهي السند والبنجاب

تنظيم المياه، والملوحة، والفيضانات، وتخفيض منسوب المياه الجوفية مشاكل خطيرة وهي ترتبط بشكل أو آخر مع مصادر المياه السطحية، وبالتالي فإن قنوات الريّ يكون لها أحياناً تأثير كبير على ازدهار المناطق التي تمرّ بها. القسم الأعظم من سكان باكستان هم

و بلوشستان والحدود، لها لغات وثقافات مختلفة ولكن شبكة ممتازة من قنوات الريّ تجمعها كلها. يتفرّع من أنهار الإندوس، كابول، جهلوم، شيناب، راوي وستليج أكثر من أربعين قناة كبيرة تشكّل نظام الريّ الرئيسي، وهي رمز حيويّ وعلامة ثقافية لباكستان الزراعية.





هدفها الرئيسي وهو الريّ مما يجعلها بمثابة مصدر للسعادة في حياة الفلاح. كما أن مياه القناة يستخدمها القرويون كماء مبرد للشرب وأحياناً لتبريد الفواكه الموسمية مثل البطيخ الأحمر (الرقّي) والمانغو. وقد سمّي الشارع الذي يحاذي القناة المتدقّة في وسط لاهور، عاصمة مقاطعة البنجاب، "شارع أن ماري شميل" على إسم الباحثة الألمانية الكبيرة الراحلة. وهي معروفة بدراساتها عن الفيلسوف الشاعر العلامة محمد إقبال. وضفاف هذه القناة لها زهور متنوّعة مثل ألوان قوس قزح، لا يضاهي نوع عطرها، ومنظرها في الربيع لا ينسى. والمساحات الشاسعة من القمح والقطن والكانولا والتي تشاهد على طول القنوات هي ثمار تدقّقها الصامت، ولكن المستمر، في جميع أنحاء البلاد. ■

عندما يعبر الناس من الجانبين لحضور مراسم الزواج أو بعض المهرجانات، ولكن في بعض الأحيان يكون القارب مثقلاً فينقلب ويتحوّل الأمر إلى مأساة. وينتشر على جوانب القنوات أنواع من الأعشاب، والشجيرات والأشجار ولكن الأكثر شيوعاً هو الحشيش، والقصب وأشجار العلك التي ندر (العلك العربي). والقنوات هي موئل لبعض أنواع الحياة البريّة مثل الدولفين الأعمى المحمي في نهر السند الذي يتسلل في بعض الأحيان إلى القنوات الصغيرة. ونظراً للأهمية الحيويّة للقنوات، فإن إساءة الإستفادة من مياهها يكون في بعض الأحيان سبباً للعداء بين المزارعين. وتستخدم محرّكات التوربين الموضوعة على بعض القنوات لتوليد الكهرباء. ويتمتع القرويون بالسياحة في القنوات بالإضافة إلى

من الريفيين وتلعب شبكة القنوات في هذه المناطق دوراً حيويّاً يماثل نظام الشرايين. وتروى المناطق المجاورة للقنوات بشكل جيّد ولذا تكون أكثر ازدهاراً من تلك التي تقع في الأطراف والتي هي أقل حظاً. ولذا تنوزع القرى في الغالب على جانبي القنوات. وهناك عدد من الجسور على القنوات، ولكنها غير كافية لتلبية احتياجات كل قرية. وفي بعض الأحيان يكون هناك جسر مؤقت من الزوارق يوضع لهذا الغرض. ويربط أحياناً حبل على ضفتي القناة مثبت بجذوع الأشجار ويساعد أصحاب القوارب القرويين لعبور القناة مع أسرهم، ودراجاتهم، ويتبادلون معهم بعض الهدايا. وتلعب هذه القوارب دوراً هاماً في الحياة اليوميّة للقرويين وفي أحيان كثيرة يكون منظرها جميلاً حيث يشتركون في لحظات سعيدة